

الشيخ عبد المجيد الشرنوبي وإصلاح القلب وتركيبته من خلال كتابه (شرح الحكيم العطائية)

الباحث: حسن أحمد حسن

أ.م. د غزوان صالح حسن

الشيخ عبد المجيد الشرنوبي وإصلاح القلب وتركيبته من خلال كتابه (شرح الحكيم العطائية)

Sheikh Abdul Majeed Al-Sharnoubi and the reform and purification of the heart through his book (Explanation of the Wisdoms of Attia)

الباحث: حسن أحمد حسن

Researcher: Hassan Ahmed Hassan

hasan.23isp31@student.uomosul.edu.iq

أ.م. د غزوان صالح حسن

Assistant Professor Ghazwan Saleh Hassan

dr.ghzawan@uomosul.edu.iq

<https://orcid.org/0009-0003-6872-3459>

ملخص البحث

يُعدّ عبد المجيد الشرنوبي واحداً من أبرز الشارحين الذين تناولوا شرح الحكيم بالتحليل والبيان، وقد تميز بشرحه العميق والمتأنّي الذي تجلّى فيه اهتمام بالغ بالأبعاد التربوية الكامنة في النص، فقد اتجه الشرنوبي في معالجته إلى استنباط المعاني التربوية الرفيعة من الحكم، كما يُعدّ كتاب "الحكم العطائية" لمؤلفه الإمام ابن عطاء الله السكندري - رحمه الله تعالى - من أبرز المؤلفات التربوية، نظراً لما يحمله من مضامين إصلاحية عميقة تتعلق بتهديب النفس وتقويم السلوك الأخلاقي، فقد عمد المؤلف، من خلال عباراته الموجزة العميقة، إلى معالجة أمراض القلوب وتوجيه النفوس إلى السلوك الروحي الصحيح، مستنداً على الكتاب والسنة، ويركز الشيخ الشرنوبي على أهميه القلب الذي يعد مركز الأعمال الذي إذا صلح صلحت سائر الأعمال وجاء البحث بعنوان (الشيخ عبد المجيد الشرنوبي وإصلاح القلب وتركيبته من خلال كتابه (شرح الحكيم العطائية) تناولت في المبحث الأول الشيخ الشرنوبي وشرحه للحكم وفيه مطلبان حيث عرفت فيهما الشيخ الشرنوبي وابن عطاء الله السكندري وكتاب

الحكم، وجاء المبحث الثاني بعنوان إصلاح القلب عند الشيخ الشرنوبى وفيه مطلبان تناولت فيهما التعريف بالقلب وإصلاح القلب عند الشرنوبى في شرحه للحكم.

الكلمات المفتاحية: الحكم العطائية، الشيخ عبد المجيد الشرنوبى، اصلاح القلب

Summary

Abdul Majeed Al-Sharnoubi is one of the most prominent commentators who analyzed and explained wisdom. He was distinguished by his profound and thoughtful commentary, which demonstrated a great interest in the educational dimensions inherent in the text. In his treatment, Al-Sharnoubi focused on deriving sublime educational meanings from the wisdom. The book "Al-Hikam Al-Ata'iyya" by Imam Ibn Ata Allah Al-Iskandari (may God have mercy on him) is also considered one of the most prominent educational works, given its profound reformatory implications related to refining the soul and correcting moral behavior. Through his concise, profound expressions, the author addressed diseases of the heart and guided souls toward correct spiritual behavior, relying on the Qur'an and the Sunnah. Sheikh Al-Sharnoubi focuses on the importance of the heart, which is the center of actions. If it is sound, all other actions are sound. The research is titled "Sheikh Abdul Majeed Al-Sharnoubi and the Reformation and Purification of the Heart through His Book (Explanation of Al-Hikam Al-Ata'iyya)." The first section deals with Sheikh Al-Sharnoubi and his commentary on wisdom. It contains two sections: In them, I introduced Sheikh Al-Sharnoubi, Ibn Ata Allah Al-Iskandari, and the Book of Wisdom. The second section was titled "Reforming the Heart according to Sheikh Al-Sharnoubi," and it contained two sections in which I addressed the definition of the heart and reforming the heart according to Al-Sharnoubi in his explanation of Wisdom.

Keywords: Attia wisdom, Sheikh Abdul Majeed Al-Sharnoubi, reforming the heart

المقدمة

الحمد لله الذي اختار من عباده رجالاً جعلهم دعاة إلى سبيله، فخصهم برعايته، وأيدهم بنور شريعته فتمسكوا به وهدوا به غيرهم، وكانوا لعباد الله مرشدين، والصلاة والسلام على نبينا محمد إمام الدعاة، وسيد الخلق أجمعين، وعلى آله وصحبه الكرام الذين بذلوا أنفسهم حباً ونصرة لهذا الدين العظيم.

يُعد الشيخ الشرنوبى - رحمه الله تعالى - من أبرز من شرح الحكم العطائية، وقد تميز بشرحه العميق المتين الذي لم يكن مجرد توضيح للمعاني اللغوية أو الفكرية، بل ارتقى بشرحه إلى مدارج التربية

الباحث: حسن أحمد حسن

أ. م. د غزوان صالح حسن

الروحية، والعناية الدقيقة بجوانب تهذيب النفس وتطهير القلب، فقد نظر إلى الحِكم الواردة فيه بمنظار المربي العارف، الذي يستقرئ الكلمات لا بعين العقل فقط، بل ببصيرة القلب، فغدا شرحه سبيلاً لمن السلوك إلى الله تعالى، ودليلاً لمن أراد تزكية النفس وتهذيبها من أدران الغفلة والهوى، لقد كان يتناول كل حكمة على أنها نبراس يهدي القلوب إلى صفائها، ويوقظ الأرواح من سباتها، فكان شرحه للتربية القلبية غاية في العمق مما جعله مرجعاً تربوياً بامتياز لا يقل عن كونه شرحاً علمياً أو معرفياً، فقد سار الشيخ في شرحه مسار المربي الذي يعرف علل القلوب ويُشخصها، ثم يرشد إلى سبل علاجها بنور الوحي وبصيرة السلوك، وقد تناول في شرحه أمراضاً قلبية دقيقة، وبين كيف أن هذه الآفات تحجب القلب عن نور الإيمان، وتمنعه من شهود حقيقة التوحيد، وكان في كل موضع من شرحه يُشير إلى المقصود الأعظم من كل عبادة وعمل، وهو التزكية الباطنة، واستحضار معية الله تعالى.

وقد اقتصر في هذا البحث على موضوع معين وهو (الشيخ عبد المجيد الشرنوبى وإصلاح القلب وتزكيتة من خلال كتابه شرح الحِكم العطائية) وجاء في مبحثان وفيه مطلبان حيث تناولت في المطلب الأول: التعريف بالشيخ الشرنوبى وشرحه للحِكم، أما المطلب الثاني: التعريف بابن عطاء الله السكندري وكتاب الحِكم العطائية، واما المبحث الثاني جاء المطلب الأول التعريف بالقلب والمطلب الثاني إصلاح القلب وتزكيتة في ضوء شرح الحِكم للشرنوبى - رحمه الله تعالى - وختمت البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج، راجياً من الله تعالى التوفيق.

المبحث الأول

الشيخ الشرنوبى وشرحه للحِكم

المطلب الأول: التعريف بالشيخ الشرنوبى

أولاً: اسمه، نسبه، ولادته:

هو الشيخ أبو محمد عبد المجيد بن إبراهيم الشرنوبى الأزهرى المالكي المصري، عالم مشارك في الفقه والحديث والتصوف واللغة والنحو وغيرها، العلامة المحقق، واسطة العقد الفريد، المحقق الهمام، وكان مولده سنة (١٨٣٠م)^(١)

ثانياً: نشأته العلمية:

(١) ينظر: الإعلام، الزركلي: ٤/ ١٤٩؛ ومعجم المؤلفين، كحالة: ٦/ ١٦٧.

نشأ الشيخ عبد المجيد الشرنوبي - رحمه الله تعالى - محباً للعلم وللعلماء، ومن خلال النظر في سيرته العلمية نجد أنه قد مر في ثلاث مراحل.

المرحلة الأولى: مرحلة الطفولة والتربية الحسية وهذه المرحلة التي تتمثل بملازمه أمه، و نشأته على العبادة والتربية الصالحة وأتم حفظ القرآن، ولم يتجاوز العاشرة من عمره، وكان يعرف بالذكاء والجد والمثابرة على تحصيل العلم، وأخذ يتلقى الدروس عن الشيخ عبد الفتاح وهيبة من علماء شرنوب^(١).

المرحلة الثانية:

تتمثل هذه المرحلة بسفره إلى القاهرة، وذلك من أجل الأخذ من الأزهر وعلمائه، وهناك التقى بالشيخ حسن العدوي، وأخذ منه العلم، ولما رأى الشيخ العدوي، تمكن الشرنوبي من الفقه والنحو، رغم صغر سنه، وأعجب الشيخ بالتلميذ وقربه إليه، وجعله القارئ في جميع دروسه و أصبح الشرنوبي لا يفارق شيخه، وذهب معه إلى مكة من أجل الحج، ولما رأى مفتي مكة الشيء العجيب من الشرنوبي أعجب به واستضافه وعرض عليه الزواج من أبنته، رفض الشرنوبي ذلك من أجل تعلقه بشيخه العدوي (٢)

المرحلة الثالثة:

وهذه المرحلة تتمثل بتمكن الشيخ الشرنوبي من العلم وفنونه، وأصبحت شهرة الإمام العلمية قد فاحت في أرجاء البلاد الإسلامية، وأصبحت مؤلفاته ذات مكانة وصدى بين الناس، لما فيها من أسلوب واضح وحسن المعنى ووضوح الفكرة، وإلى جانب علمه الوافر، فإن الشيخ الشرنوبي يعد واحد من الذين ساهموا وعملوا في النهضة الأدبية والصحفية في العصر الحديث (صحيفة الوقائع المصرية) وإلى جانب ذلك فإنه غين بدار الكتب الأزهر^(٣).

ثالثاً: شيوخه: تلقى الشيخ الشرنوبي - رحمه الله تعالى - العلم على يد علماء كثر ومنهم:

١- حسن العدوي: حسن العدوي الحمزاوي، فقيه مالكي مصري، ولد سنة (١٢٢١ هـ - ١٨٠٦م) في قرية عدوة في مصر، فتلقى العلم في الأزهر، وله عدة مؤلفات منها، (النور الساري من فيض صحيح

(١) ينظر: الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة، الفقي: ١٥٢/٢.

(٢) المصدر نفسه: ١٥٣/٢.

(٣) ينظر: الإعلام، الزركلي: ١٤٩/٤.

الباحث: حسن أحمد حسن

أ. م. د غزوان صالح حسن

البخاري) (إرشاد المرید في خلاصة علم التوحيد)، (الفیض الرحمانی علی شرح الإمام عبد الباقي الزرقانی)، وتوفي في رمضان سنة (١٣٠٣ هـ - ١٨٨٦ م) (١).

٢- إبراهيم السقا: الشيخ برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن الحسن المصري الشافعي الأزهرى المعروف بالسقا، ولد سنة (١٢١٣ هـ - ١٧٩٨ م) في شبرا نجوم، وهي إحدى قرى المنوفية، وله عدة مؤلفات وشرح منها، (حاشية على فضائل رمضان)، (غاية الأمنية في الخطب المنبرية) ، (منح المنان بفضائل النصف من شعبان) ، (شرح الصدر بفضائل ليلة القدر) وتوفي - رحمه الله تعالى - يوم الخميس سنة (١٢٩٨ هـ - ١٨٨١ م)، ودفن يوم الجمعة بعد الصلاة عليه بالجامع الأزهر (٢).

رابعاً: مؤلفاته: لقد كتب الشيخ عبد المجيد الشرنوبى - رحمه الله تعالى - في كثير من العلوم ومنها، الفقه والحديث واللغة والتصوف وغيرها من الفنون العلمية، ومن بعض مؤلفاته (٣).

الحديث:

- ١- شرح مختصر البخاري، الناشر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٦ م مطبوع.
- ٢- شرح الأربعين النووية، تحقيق: عطية مصطفى، الناشر دار كشيدة، القاهرة، مطبوع.

الفقه:

- ١- المحاسن البهية على متن العشماوية، الناشر، المكتبة الثقافية، بيروت، مطبوع.
- ٢- الكواكب الدرية على متن العزية، الناشر دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٢٣ م، مطبوع.
- ٣- تقريب المعاني على رسالة أبي زيد القيرواني، تحقيق: عبد الوارث محمد علي الناشر دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٩٨ م، مطبوع.

السيرة:

- مختصر الشمائل المحمدية للترمذي، تحقيق: محمود البيروتى، الناشر دار البيروتى، دمشق ٢٠٠٩ م، مطبوع.

(٤) ينظر: تراجم عبر التاريخ، موقع ابن العربي .

(١) ينظر: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، الباباني: ٤٢ / ١.

(٢) ينظر: الخزانة التيمورية، أحمد إسماعيل: ٣ / ١٦١؛ والأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة، الفقى: ٢ /

الزهد والتصوف:

- ١- تحفة العصر الجديد ونخبة الأدب المفيد، ضبط وتعليق: محمد شايب شريف، الناشر دار ابن حزم، بيروت، مطبوع.
- ٢- شرح تانية السلوك لأحمد عرب الشرنوبى، تحقيق عاصم إبراهيم الكيالى، الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠١٤م، مطبوع.
- ٣- شرح حكم ابن عطاء الله السكندري، علق عليه عبد الفتاح البزم، الناشر، دار ابن كثير دمشق الطبعة الثانية، ١٩٨٩م، مطبوع.

النحو الصرف:

- إرشاد السالك على ألفية ابن مالك، الناشر دار كشيده القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٨م مطبوع.
- وله أيضاً من المؤلفات:
- ديوان خطب المثلث السجعات الناشر، مطبعة بولاق الأميرية ، مصر ، الطبعة الأولى ١٣١٦هـ مطبوع.
- دلائل الخيرات وشوارق الأنوار، الناشر، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٩٤م، مطبوع.

خامساً: منزلته الأدبية:

وتجدر الإشارة إن الشيخ عبد المجيد الشرنوبى إلى جانب علمه الوفير، ومؤلفاته الكبيرة يُعد أحد وأبرز من ساهم في النهوض الأدبي في العصر الحديث، وكان له دور في بناء المجد الصحفي الأول (صحيفة الوقائع المصرية) وقد أتاح له عمله في مكتبة الأزهر الاطلاع على الأسفار الأدبية، وعليه فإنه تأثر بأساليبها، وعلى أثر ذلك بانته موهبته ونمت ملكته الشعرية، مما يجعله من طلائع الأدباء والشعراء، لاسيما أن شعره امتاز في استواء العبارة، ووضوح القصد، وحسن السبك، وإشراق أسلوبه، وهذه السمات نجدها واضحة في شعره في كتاب (تحفة العصر الجديد و نخبة الأدب الجديد) وكذلك نجد في شعره الاقتباس من حكم القرآن الكريم^(١).

سادساً: وفاته:

بعد حياة طويلة قضاها في العلم وجميع فنونه وانتقل من بلاد إلى بلاد أخرى من أجل العلم توفي الشيخ عبد المجيد الشرنوبى - رحمه الله تعالى - عن سن عالية سنة (١٣٤٨هـ - ١٩٢٩م)^(٢).

(١) ينظر: الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة، الفقي: ٢ / ١٥٨ - ١٥٩ - ١٦٠.

(٢) ينظر: معجم المؤلفين، كحالة: ٦ / ١٦٧؛ والخزانة التيمورية، أحمد إسماعيل: ٣ / ١٦١.

الباحث: حسن أحمد حسن

أ. م. د غزوان صالح حسن

سابعاً: كتاب شرح الحكم العطائية للشيخ الشرنوبى والداعي لتأليفه:

يقول الشيخ عبد المجيد الشرنوبى - رحمه الله تعالى - لما كانت حكم السيد السرى العارف بالله تعالى سيدي أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندري من أنفع ما يتوصل به المرید إلى معرفة طريق العارفين الموصلة إلى ذي العرش المجيد، لاشتمالها على دقائق التوحيد المنيفة مع اختصار عباراتها الرائقة اللطيفة أردت أن أشرحها بشرح وسط خال من التطويل واللغظ يراه الناظر لها كالمصباح، ويتحقق أنه ثمرة ما غرسه الشراح، فإني دخلت بستان العارفين الأعلام واجتيت يانع الثمرات من حدائق الأفهام وقربت للجاني الجنى ورجوت من الله بلوغ المنى، مع اعترافي بأن باعي قصير، وذهنى كليل لكن أردت التشبه بهؤلاء السادة^(١).

المطلب الثاني: التعريف بأبن عطاء الله السكندري وكتاب الحكم العطائية:

أولاً: اسمه ونسبه ولادته:

هو الإمام العالم العارف المحقق أبو الفضل تاج الدين وترجمان العارفين أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن عيسى بن الحسيني بن عطاء الله الجذامي نسباً، المالكي مذهباً ، وقد ولد ابن عطاء الله السكندري - رحمه الله تعالى - في مصر بمدينة الاسكندرية سنة (٦٥٨هـ) حيث كانت تقيم عائلته ولهذا سمي بالسكندري^(٢).

ثانياً: كتاب الحكم العطائية:

تعد الحكم العطائية المنسوبة إلى الشيخ الإمام العارف أبى عطاء الله السكندري - رحمه الله تعالى - من أفضل ما صنف في علم التوحيد، وأجل ما اعتمده بالتفهم والتحفظ كل سالك ومرید، لكونه صغير الجرم، عظيم العلم، ذات عبارات رائعة ومعان حسنة فائقة، قصد فيها إلى إيضاح طريق العارفين والموحدين وإبانه مناهج السالكين والمتجربين والذي أحتوى على (٢٦٤) حكمه^(٣).

(١) ينظر: شرح الحكم العطائية، الشرنوبى: ص ١٣.

(٢) ينظر: شرح حكم ابن عطاء الله، زروق: ص ٢٠؛ طبقات الشافعية الكبرى، السبكي، ٢٣ / ٩؛ والبدر الطالع

بمحاسن.

(٣) من بعد القرن السابع، الشوكاني، ١ / ١٠٧.

(٤) ينظر: شرح الحكم العطائية، الشرنوبى: ص ٩.

ثالثاً: وفاته:

توفي ابن عطاء الله السكندري - رحمه الله تعالى - في القاهرة في جمادى الآخرة سنة (٧٠٩ هـ - ١٣٠٩ م) و قبره معروف حتى اليوم^(١).

المبحث الثاني

إصلاح القلب وتزكيتة في شرح الحِكم للشرنوبى . رحمه الله تعالى -

المطلب الأول: تعريف القلب لغة واصطلاحاً:

أولاً: القلب لغة: القلب في اللغة تحويل الشيء عن وجهه، قلبه يقلبه قلباً، والجمع : قلوب وأقلب، وقلب الشيء: تصريفه وصرفه عن وجه إلى وجه، كقلب الثوب وقلب الإنسان أي صرفه عن طريقته، قال تعالى: ﴿يُعَدِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحِمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ (٢١)﴾^(٢)، والانتقال الانصراف قال تعالى (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (١٤٤) (٣):١٤٤، وقيل سمي القلب قلباً لكثرة تقلبه وتقلب الشيء : تغييره من حال إلى حال نحو قوله تعالى : ﴿يَوْمَ تُقْلَبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ (٦٦)﴾ ، وتقلب الأمور: تدبيرها والنظر فيها قال تعالى : لَقَدْ ابْتَعُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ (٤٨)﴾^(٥)، ويمكن أن يكون المعنى أنهم نظروا في الأمور نظراً يريدون معه تحويلها عن حقيقتها، فيكون القلب هنا بمعنى التحويل المعنوي لا الحسي، وتقلب الله القلوب والبصائر صرفها من رأي إلى رأي^(٦)، تتكون مادة "قلب" من القاف واللام والباء، وهي تحمل أصلين صحيحين في معناها الأول يشير إلى جوهر الشيء وأفضله، لذا سمي القلب بهذا الاسم؛ لأنه أنقى

(١) ينظر: إيقاظ الهمم في شرح الحِكم، ابن عجيبة: ص ١٢؛ وهديّة العارفين أسماء المؤلفين وآثار

المصنفين، الباباني، ١/١٠٣.

(٢) سورة العنكبوت، جزء من الآية: ٢١.

(٣) سورة آل عمران، جزء من الآية: ١٤٤.

(٤) سورة الأحزاب، جزء من الآية: ٦٦.

(٥) سورة التوبة، جزء من الآية: ٤٨.

(٦) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ١/ ٦٨٥.

الباحث: حسن أحمد حسن

أ. م. د غزوان صالح حسن

جزء في الإنسان وأعظمه شأنًا، أما الأصل الثاني، فيدل على تحويل الشيء من جهة إلى أخرى، مما يعكس طبيعة القلب في التغير والتقلب^(١).

ثانياً: القلب اصطلاحاً: يطلق القلب على اللحمية الصنوبرية الشكل في الجانب الأيسر من الصدر ويطلق على اللطيفة المعنوية الموجودة في هذه اللحمية، وهو محل الإدراك والتعقل والتفهم، وهو محل الرغبات والأهواء فيقلب بين رغبة وأخرى، بين خير وشر، وهو محل الإرادة، فيختار إحدى الرغبات، وهو المخاطب من الإنسان والمطالب والمعاتب^(٢)، وأن لفظ القلب يطلق على معنيين رئيسيين المعنى الأول: (الحسي) القلب هو عضو عضلي صنوبري الشكل، يقع في الجانب الأيسر من الصدر، وهو المسؤول عن ضخ الدم في الجسم. والمعنى الثاني (المعنوي) يشير القلب إلى لطيفة روحانية ربانية ترتبط بالقلب الجسدي، وهي جوهر الإدراك والمعرفة في الإنسان، هذه اللطيفة تمثل حقيقة الإنسان، فهي التي تعي وتترك وتخطب، ولها ارتباط وثيق بالقلب المادي في وظائفه الروحية والمعنوية^(٣)، وقوله ﷺ "... ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب"^(٤)، يدل على أن القلب المعنوي هو في القلب المادي الجسمي المسمى بالمضغة.

المطلب الثاني: إصلاح القلب وتزكيته في ضوء شرح الحكم للشرنوبى - رحمه الله تعالى -

إصلاح القلب وتربيته في شرح الحكم عند الشرنوبى - رحمه الله تعالى - إن عملية الإصلاح والتربية ليست مجرد تقديم معلومات ومعارف، بل تشمل التشخيص الدقيق للمشكلات والخلل السلوكي والمعرفي، حيث يتعين على المربي أو المعلم إصلاحها بطريقه علمية وتربوية مناسبة وأشار ابن عطاء الله السكندري إلى هذا النهج حيث قال: "تشوفك إلى ما بطنَ فيك من العيوب، خير من تشوفك إلى ما حُجب عنك من الغيوب"^(٥). يقول الشيخ الشرنوبى - رحمه الله تعالى - أي رؤيتك لنفسك بعين البصيرة إلى ما بطن، بحيث تترك ما خفي في داخلك من عيوب وأمراض قلبية كالكبر والحقد والحسد والعجب والرياء والسمعة وحب الجاه وغير ذلك من العيوب، حتى تعلوا همتك في السعي للتخلص من تلك الآفات والأمراض فإن ذلك خير لك من تطلعك إلى ما حجب عنك من الغيوب، كالأمر الغيبية وأسرار

(١) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ١٧ / ٥.

(٢) ينظر: التعريفات الجرجاني: ص ٢٢٩.

(٣) ينظر: إحياء علوم الدين، الغزالي، ٣ / ٣.

(٤) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث: (٥٢) / ١ / ٢٠.

(٥) شرح الحكم العطائية، ابن عباد: ص ٥٢.

العباد فالبحث عن العيوب والسعي في إصلاحها يؤدي إلى صفاء الأعمال ونقاء الأحوال وحياة القلوب، بينما الاطلاع على الغيوب قد يكون دافعاً للكبر ورؤية النفس فوق الآخرين، مما قد يؤدي إلى الهلاك، فإصلاح تلك العيوب واجب عليك لربك، فإن نفسك تطلب الكرامة ومولاك مطالبك بالاستقامة، ولأن تكون بحق مولاك خير من أن تكون بحظ نفسك^(١).

وإصلاح القلب يتم من خلال الوقوف على علله وبيان حالها والعمل على معالجتها وعلل القلب كثيرة ومنها:

أولاً: الرياء: الرياء في جوهره هو السعي لنيل مكانه في قلوب الآخرين وذلك من خلال إظهار الأعمال الصالحة لهم، وعادة ما يرتبط بالتظاهر بالعبادة وإبرازها لتحقيق تلك المكانة، حيث القيام بالطاعات بنية استمالة أنظار الناس ونيل إعجابهم وأن يرى الناس طاعته الله تعالى، وبهذا يصبح الرياء انحرافاً عن الغاية الحقيقية من العبادة، وهي التقرب إلى الله تعالى ليتحول إلى وسيلة للتكسب المعنوي لدى الخلق^(٢). ألم تر إلى الممّال من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبيهم هم ابعت لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلاً منهم والله عليهم بالظالمين (٢٤٦) قال تعالى: (٣). هنا بيان حال من تصدق وأتبع صدقته بالمن والأذى، فإنه بذلك يبطل أجرها مما يجعله خاسراً من حيث نقص في ماله وكذلك الحرمان من الثواب فمن عمل ليراه الناس فجزؤه لا يتجاوز إعجابهم الزائل؛ لأن الله تعالى لا يقبل الأعمال التي لم تكن خالصة له فالعبرة في الإخلاص لله تعالى، وليس في الصيت بين الخلق^(٤).

وقد حذرنا الرسول ﷺ من هذا المسلك كما جاء في الحديث قوله " إِنَّ أَحْوَفَ مَا أَحَافُ عَلَيْكُمْ الشَّرْكَ الْأَصْغَرُ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الشَّرْكَ الْأَصْغَرُ؟ قَالَ: الرِّيَاءُ إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: يَوْمَ تَجَازَى الْعِبَادُ بِأَعْمَالِهِمْ أَذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ بِأَعْمَالِكُمْ فِي الدُّنْيَا، فَانظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً"^(٥). ولهذا يعد الرياء من أخطر أمراض القلوب، لأنه يخفي نية العبد العمل الصالح، ولا بد أن يجتمع في العمل

(١) ينظر: شرح الحكم العطائية، الشرنوبى: ص ٤٢-٤٣.

(٢) ينظر: إحياء علوم الدين، الغزالي، ٣/ ٢٩٧.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٦٤.

(٤) ينظر: الخواطر، الشعراوي، ٢/ ١١٥٤.

(٥) أخرجه أحمد في مسنده، رقم الحديث: (٢٣٦٣٥) ٣٩/٣٩ حديث حسن.

الباحث: حسن أحمد حسن

أ. م. د غزوان صالح حسن

الصدق والإخلاص "استشرفك أن يعلم الخلق بحُصُوصِيَّتِكَ دليل على عدم صدقك في عبوديتك"^(١). أن السعي لإظهار العبادة أو الفضائل أمام الناس ما هو إلا دليل على نقص في صدقك وإخلاصك، فإن الصادق في عبوديته يظهر قلبه من رؤية نفسه ويطرح عنه كل ما سوى مولاه، حيث لا بد من إصلاح القلوب وتربيتها على الإخلاص والصدق فإن القلوب لا تزكو إلا إذا خلصت نيتها لله، ولم تتبغ بعملها إلا وجهه الكريم^(٢). وقد جاء في النية قوله □ "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى..."^(٣) يُعد هذا الحديث من الأحاديث العظيمة تؤسس لمبدأ إصلاح القلب وتصحيح النية، حيث يوجه الإنسان إلى أهمية القلب في أعماله ليكون كل عمله خالصاً لله ولذلك فإن تمام الأعمال وصحتها تبنى على قصد النية^(٤). "غيب نظر الخلق إليك بنظر الله إليك، وغب عن إقبالهم عليك بشهود إقباله عليك"^(٥). حيث لا بد من الإخلاص في العمل كما ذكر الشيخ الشرنوبى، بأن يجعل العبد قلبه خالصاً لله وحده، وأشار إذ لا بد من تحرير القلب من التعلق بالناس ومدحهم، ولتكن الغاية العظيمة هي كسب رضا الله تعالى^(٦).

ثانياً: **الكبر**: يُعد الكبر من الصفات الذميمة التي تفسد القلوب والأعمال، حيث يدفع صاحبه إلى الترفع على الآخرين واحتقارهم، مما يذهب البركة عن أعماله الصالحة، فالكبر قرين الأمن من مكر الله تعالى، وهو أمر مهلك بينما التواضع دلالة على الخوف من الله تعالى، وهو ما يؤدي إلى السعادة الحقيقية فالعبد المتكبر قد يُفسد بتعاليه على الناس أكثر مما يصلح بعبادته الظاهرة؛ إذ إن الله تعالى لا ينظر إلى صور الأعمال وحدها بل إلى ما في القلوب من نوايا وإخلاص^(٧). في بيان حال أهل الكبر قال تعالى: سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلًّا آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغِيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٤٦) □^(٨)، سأمع المتكبرين عن طاعتي والمتعالين على

(١) شرح الحكم العطائية، ابن عباد: ص ٧٢.

(٢) ينظر: شرح الحكم العطائية، الشرنوبى: ص ١١٨.

(٣) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث: (١)، ٦/١.

(٤) ينظر: شرح الأربعين النووية، الشرنوبى: ص ١٥.

(٥) شرح الحكم العطائية، ابن عباد: ص ٧٢.

(٦) شرح الحكم العطائية، الشرنوبى: ص ١١٨.

(٧) ينظر: إحياء علوم الدين، الغزالي، ٣/٣٦٧.

(٨) سورة الأعراف، الآية: ١٤٦.

الناس بغير حق من فهم الحجج والأدلة التي تثبت عظمتي وشريعتي وأحكامي فهم يعرضون عن الحق بسبب كبرهم، فلا يسيرون في طريق الهداية حتى لو تبين لهم، بينما يسلكون طريق الضلال ويتبعونه نهجاً لهم، ذلك لأن كبرياءهم يحجب عنهم الإيمان ويدفعهم إلى معارضة الحق وأهله^(١). فالتواضع الحقيقي هو تجرد القلب من الكبر " التواضع الحقيقي هو ما كان ناشئاً عن شهود عظمته وتجلي صفته"^(٢) إن التواضع الصادق الذي يخلو تماماً من أي أثر للكبر هو ذلك الذي ينبع من إدراك عظمة الله تعالى وتجلي صفاته في قلب العبد، فلا يصل الإنسان إلى جوهر التواضع الحقيقي إلا عندما يشرق نور المشاهدة الإلهية في قلبه فيذوب فيه شعور الأنا ومع هذا الذوبان شوائب الكبر والعجب، وعندها تصبح النفس نقية، لينة قابلة للحق ومنفتحة على التعامل مع الخلق بروح من الصفاء والتواضع^(٣) وقد وجد بين النبي ﷺ خطورة الكبر وأنه سبب لعدم دخول الجنة في قوله ﷻ " لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة قال: إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس"^(٤) فالكبر آفة القلوب إذا لم يتب منها العبد عوقب بالحرمان من الجنة، حيث لا بد من التواضع في إصلاح القلوب وإن المؤمن مهما فعل لا يرى أنه بعمله الصالح فوق الآخرين " ليس المتواضع الذي إذا تواضع رأى أنه فوق ما صنع ، ولكن المتواضع الذي إذا تواضع رأى أنه دون ما صنع"^(٥) ذكر الشيخ الشرنوبى - رحمه الله تعالى - أن الحكمة تناقش مفهوم التواضع الحقيقي مقابل التواضع الظاهري، مركزة على نظرة الإنسان إلى أفعاله الدالة على تواضعه، وليس على الفعل نفسه، ولأبد من مراجعة النفس باستمرار وعدم الاكتفاء بالأفعال الظاهرية، بل غرس التواضع في القلب كقيمة تبني على الإخلاص والوعي بالذات^(٦) ومن أسباب إصلاح القلب إذ لا بد للعبد أن ينكسر الله تعالى في عبادته وطاعته ولا يعلوا ويستكبر بعبادته ويرى نفسه فوق الآخرين " معصية أورتت ذلاً وافتقاراً خيراً من طاعة أورتت عزاً واستكباراً"^(٧) هذه الحكمة تعكس مفهوماً عميقاً في إصلاح القلب وتجنب التكبر فالمقصود أن المعصية التي تدفع الإنسان إلى الشعور بالذل والانكسار بين يدي الله تعالى، وتجعله يدرك حاجته إلى رحمته ومغفرته، قد تكون سبباً في إصلاح قلبه وقربه من الله تعالى، لأنه عندما يشعر الإنسان بالذنب يلجأ إلى التوبة الصادقة، ويتجنب العجب بنفسه فيزداد

(١) ينظر: الجامع لإحكام القرآن، القرطبي، ٢٨٣/٧.

(٢) شرح الحكم العطائية، ابن عباد: ٨٤.

(٣) شرح الحكم العطائية، الشرنوبى: ص ١٦١.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، رقم الحديث: (٩١) ٩٣/١.

(٥) شرح الحكم العطائية، ابن عباد: ص ٨٤.

(٦) ينظر: شرح الحكم العطائية، الشرنوبى: ص ١٦٠.

(٧) شرح الحكم العطائية، ابن عباد: ٦٢.

الباحث: حسن أحمد حسن

أ. م. د غزوان صالح حسن

تواضعاً وعبودية لله تعالى، أما الطاعة التي تجعل الإنسان يشعر بالعزة والاستكبار، فقد تكون سبباً في فساد قلبه؛ لأنه يرى نفسه أفضل من غيره وربما يقع في العجب والتكبر، فيحبط عمله دون أن يدري، فالله تعالى يحب القلوب المنكسرة الخاشعة، وليس القلوب التي ترى نفسها مستغنية عن رحمته^(١).

ثالثاً: الطمع: حيث يُعد الطمع من آفات وأمراض القلوب سواء كان الطمع في المال أو في ما عند الآخرين أو في أموال الناس بغير حق أو الطمع في رحمة الله تعالى دون عمل يقربه إلى الله تعالى، والطمع صفة مذمومة تؤدي إلى إفساد القلب وتورث صاحبها الذل والانكسار، فقد قال ابن عطاء الله السكندري "ما بسقتُ أَعْصَانُ ذلٍ إلا على بذر طمع"^(٢) وهنا يشبه الطمع بالبذور التي تنشأ منه الشجرة المقصود ألا تزرع بذور الطمع في نفسك فتنتب منها شجرة المذلة وتتفرع أغصانها، فاعلم أن الطمع هو جذر كل البليات، إذ يُوقع صاحبه في مهالك خطيرة، فيظل يتذلل للناس طمعاً حتى يُفقد قلبه نور اليقين وإشراقه في حين ينبغي على المؤمن أن يعرض على عُرى إيمانه بعزة وقوة، حريصاً على صون كرامته من كل ما يُضعفها حيث قال تعالى: **يَقُولُونَ لَئِن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ** (٨) □^(٣)، إن العزة لا ينالها العبد إلا باعتماده على مولاه، وقطع طماعيته فيما سواه، فإن من طمع في شيء ذل له وانقاد لحكمه^(٤) وقد نهى الله تعالى عن الطمع حيث قال تعالى: □ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٢٩)** □^(٥) تحذر هذه الآية الكريمة المؤمنين من الاستيلاء على أموال بعضهم البعض بطرق غير مشروعة، أو أن تسيطر عليهم شهوة الطمع في ممتلكات الآخرين، فيلجؤون إلى الأساليب الملتوية لانتزاعها ظلماً وعدواناً وطمعاً^(٦) وقد حذر النبي □ من الطمع وحث على القناعة والعفاف والاعتدال، وأشار إلى أن الطمع يؤدي إلى الظلم والفساد

(١) ينظر: شرح الحكم العطائية، الشرنوبى: ص ٨٢-٨٣.

(٢) شرح الحكم العطائية، ابن عباد: ٥٦.

(٣) سورة المنافقين، من الآية: ٨.

(٤) ينظر: شرح الحكم العطائية، الشرنوبى: ص ٦٢-٦٣.

(٥) سورة النساء، جزء من الآية: ٢٩.

(٦) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي: ص ١٧٥.

وعدم البركة، قوله □ " قد أفلح من أسلم، ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه" ^(١) الحديث يعلمنا أن الفلاح الحقيقي ليس في كثرة المال، بل في الإسلام، والرزق الكافي والقناعة، فإذا أراد الإنسان أن يصلح قلبه من الطمع، فعليه أن يرضى بما قسمه الله، ويزهد في الدنيا، ويثق بأن السعادة ليست في كثرة الممتلكات، وإنما في راحة القلب وطمانينته، وإذا تخلل الطمع إلى القلب يكن عبداً لما طمع له " أَنْتَ حُرٌّ مِمَّا أَنْتَ عَنْهُ أَيْسَ، وَعَبْدٌ لِمَا أَنْتَ لَهُ طَامِعٌ" ^(٢) الإنسان كلما طمع في شيء، صار عبداً له، وإذا فقد التعلق به صار حراً، والطمع يفسد القلب؛ لأنه يملؤه بالقلق والجشع، بينما القناعة والرضا تصلحه، وتجعل صاحبه سعيداً مطمئناً، فالحرية الحقيقية ليست في امتلاك الأشياء بل في عدم استعباد القلب بها ^(٣) وقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال أوصني يا رسول الله فقال النبي □ " عَلَيْكَ بِالْإِيَّاسِ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ، وَإِيَّاكَ وَالطَّمَعَ فَإِنَّهُ فَعْرٌ حَاضِرٌ..."^(٤). في هذا الحديث يرشدنا النبي إلى تزكية القلب والحث على القناعة والرضا بما قسمه الله تعالى للعبد، ويحذر من الطمع والتعلق بما لدى الآخرين فالطمع أساس فقر القلب.

رابعاً: القسوة: ذم الله تعالى القسوة في القرآن الكريم وأنها سبب انحراف واضلال القلوب ومن آفاته، قال تعالى: □ □ ^(٥) حيث يحذر الله تعالى من العاقبة السيئة لأصحاب القلوب القاسية الذين لا يتأثرون بذكره وأن قلوبهم قد ماتت وقد ذكر ابن عطاء - رحمه الله تعالى - من أسباب موت القلب وقسوته " مِنْ عِلَامَاتِ مَوْتِ الْقَلْبِ عَدَمَ الْحُزْنِ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنَ الْمُوَافَقَاتِ، وَتَرَكَ النَّدَمَ عَلَى مَا فَعَلَهُ مِنْ وُجُودِ الزَّلَّاتِ" ^(٦) ذكر الشيخ الشرنوبى - رحمه الله تعالى - أن من أسباب موت القلب، عدم الندم على ما فات العبد من الموافقات أي الطاعات، وكذلك ترك الندم على ما فعله من وجود الزلات أي المعاصي التي توجد منه، فإن السرور بالطاعة والحزن على المعصية فهذه من يعد

علامات إحياء قلب المؤمن كما جاء في الحديث قوله □ "... مِنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ" ^(٧)، إن الأعمال الصالحة تعد دليلاً على رضا الله تعالى ورضاه يجلب السعادة والسرور، والسرور، أما الأعمال السيئة فهي مؤشر على سخطه، وسخطه يؤدي إلى الحزن فمن كان موضع

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه، رقم الحديث: (١٠٥٤)، ٢/٧٣٠.

(١) شرح الحكم العطائية، ابن عباد: ص ٥٧.

(٢) ينظر: شرح الحكم العطائية، الشرنوبى: ص ٦٣.

(٣) جزء من حديث أخرجه البيهقي في الزهد الكبير، رقم الحديث: (١٠١)، ص ٨٦، حديث صحيح.

(٤) سورة الزمر، جزء من الآية: ٢٢.

(٥) شرح الحكم العطائية، ابن عباد: ص ٥٤.

(٦) جزء من حديث أخرجه الترمذي في سننه، رقم الحديث: (٢١٦٥)، ٣٨/٤، حديث حسن صحيح.

الباحث: حسن أحمد حسن

أ. م. د غزوان صالح حسن

رضى الله تعالى، يسره لعمل الخير، أما من نال غضبه، تركه في ظلام الإهمال وضياع الطريق^(١) حيث إن المداومة على ذكر الله تعالى من أعظم العبادات التي تقرب العبد من ربه وتطهر القلب وتزيل قسوته وتمنح العبد الطمأنينة والراحة، وقد أمر الله تعالى عباده بالإكثار من ذكره، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢) ﴾^(٢) وذكر الإمام ابن عطاء - رحمه الله تعالى - منزله الذاكر بقوله " أَكْرَمَكَ بِكَرَامَاتٍ ثَلَاثَ : جعلك ذاكرًا له ولولا فضله لم تكن أهلاً لجريانِ ذكره عَلَيْكَ، وَجَعَلَكَ مَذْكُورًا بِهِ ، إِذْ حَقَّقَ نَسِيَّتَهُ لَدَيْكَ وَجَعَلَكَ مَذْكُورًا عِنْدَهُ فَتَمَّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ"^(٣) وقد ذكر الشيخ الشرنوبى - رحمه الله تعالى - أن ذكر الله تعالى هو الدواء النافع لقسوة القلب إذ يمنح الذاكرين ثلاث كرامات إلهية تحيي القلوب وتصفى الأرواح^(٤)

١- الكرامة الأولى: أن يهبك الله نعمة ذكره بلسان ذاكر وقلب منيب، فيزيدك حلاوة الإقبال عليه ويظهر قلبك من غلظة الغفلة؛ فلولا فضله ما استحققت أن تتعم يذكره، أو تذوق لذة مناجاته.

٢- الكرامة الثانية: أن يجعل اسمك مقرونا بذكره بين الخلق فيعرف بك بين الناس كولي مُتَّصِلٍ فتصير قدوة تُذكرهم بجلاله، يُرْفَقُ القلب ويُبعده عن الجفاء والقسوة.

٣- الكرامة الثالثة: أن يرفع ذكرك في مقام القربى عنده، فيكرمك بمزيد الرحمة والإنعام فتشعر بأنس القرب وطمأنينة الروح، وهذه أعظم غاية تذيب قسوة القلب وتُعيدُه حيًّا نابضاً بالإيمان، فالذكر سر حياة القلب يمنحه رقةً بوهب الذاكر، وشهرة بعطاء المذكور، وقرباً بكرم المنعم فمن أدمن ذكر الله، أبدله قلباً طرياً يتلألأ بأنوار الرحمن.

خامساً: التعلق بالأغيار: أي التعلق بغير الله تعالى: خلق الله تعالى هذه الدنيا، وأحاطها بالملاذات التي تجذب القلوب، فهي تمثل صوراً متغيرة تستهوي النفوس، في حين أن الأولى بها أن تتجه إلى خالقها، محبة له وطاعة لأوامره وهجر كل الأغيار التي تؤدي إلى هلاك العبد، قال تعالى: ﴿ زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ

(٧) ينظر: شرح الحكم العطائية، الشرنوبى: ص ٥٦-٥٧.

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤١. ٤٢.

(٢) شرح الحكم العطائية، ابن عباد: ص ٨٧.

(٣) ينظر شرح الحكم العطائية، الشرنوبى: ص ١٧٣.

وَالْحَيْلِ الْمُسَوِّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَأْبِ (١٤) □^(١) ذكر الله تعالى بعض الشهوات والأغيار التي تؤدي إلى الضلال، حيث بين الله تعالى ضالة وقيمة الحظوظ الدنيوية بمختلف أشكالها، وحث الناس على عدم الاغترار بها أو التعلق بها، موجها رغباتهم نحو ما لديه من نعم وخيرات أبدية، وذلك ليبين لنا حجم الخسارة التي يعانينا من يقع في التعلق بتلك الأمور العابرة والزائلة، والتي قد تؤدي به إلى الهلاك^(٢) فإن خلوا القلب من الأغيار دليل على نوره لذا قال ابن عطاء " فَرَّغْ قَلْبَكَ مِنَ الْأَغْيَارِ يَمْلَأُهُ بِالْمَعَارِفِ وَالْأَسْرَارِ " ^(٣) ذكر الشيخ الشرنوبى - رحمه الله تعالى - في كلامه عن هذه الحكمة، إذا أراد السائر إلى الله تعالى أن تُتِيرَ أنوار الحق قلبه وتتجلى عليه الأسرار والمعارف الإلهية فعليه أولاً أن يخلوا قلبه ويُطهر من كل ما يشغله عن الله تعالى ويتحرر من التعلق بغيره من حب الدنيا وملذاتها وغيرها، بحيث لا يتعلق القلب إلا بالله تعالى وعندئذ يفتح الله عليه من الأسرار ويمتلئ قلبه بالمعارف الربانية والأنوار الروحية^(٤) فإن تربية القلب تكمن في امتثال لأوامر الله تعالى والتخلي بها والتخلي عما نها عنه حيث يعتمد هذا الأسلوب بشكل رئيسي في المنهج الصوفي، حيث لا بد من تطهير النفس من التي تقود الإنسان إلى المحظورات، سواء كان ذلك لأنفسهم أو لغيرهم. وقد حذر الرسول □ من تعلق القلب بالماديات وجعلها معبوداً من دون الله، فقد جاء في الحديث قوله □ " تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم والقטיפئة وَالْحَمِيصَةَ إِنَّ أُعْطِيَ رِضِي وَإِنْ لَمْ يُغَطَّ لَمْ يَرْضَ... " ^(٥) وفي هذا الحديث تحذير من النبي □ لكل مؤمن من أن يكون عبداً أو أسيراً لأغيار الدنيا وشهواتها، بل يجب على المؤمن أن يعيش حياته متعلق بالله تعالى وترك ما سواه ، لذا قال ابن عطاء " أورد عليك الوارد ليتسلمك مِنْ يَدِ الْأَغْيَارِ وَلِيُحَرِّرَكَ مِنْ رِقِّ الْأَثَارِ " ^(٦) حيث إن التعلق بالأغيار، أي التعلق بغير الله تعالى، هو أحد العوائق الكبرى التي تمنع الإنسان من تحقيق العبودية الخالصة لله تعالى، فكل ما يرتبط بالدنيا من متاع زائل ورغبات نفسية وميل القلب إلى الشهوات يشكل قيداً يكبل الإنسان فيجعله مستعبدا لهذه الأمور بدلاً من أن يكون عبداً لله وحده وحين يفرط الإنسان في التعلق بهذه الأشياء، فإنها تصبح كأنها غاصبة لقلبه، مستحوذة على روحه، فتعيقه عن إدراك الحقيقة الكبرى أن الملك الله وحده، وأن كل شيء سواه فان، ولهذا فإن الله يرسل على عباده ما يحررهم من هذه القيود، سواء كان ذلك عبر الابتلاءات أو

(٤) سورة ال عمران، الآية: ١٤.

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ٢ / ١٤.

(٢) شرح الحكم العطائية، ابن عباد: ص ٧٩.

(٣) ينظر: شرح الحكم العطائية، الشرنوبى: ص ١٣٨.

(٤) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث: (٦٤٣٥)، ٨ / ٩٢.

(٥) شرح الحكم العطائية، ابن عباد: ص ٥٥.

الباحث: حسن أحمد حسن

أ. م. د غزوان صالح حسن

التغييرات المفاجئة في حياتهم حتى ينتزعوا من أسر هذه التعلقات، ويُعادوا إلى حقيقتهم كعباد الله، لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا، وبهذا التحرر يصبح الإنسان مؤهلاً للعبودية الحقيقية متحرراً من أغلال الدنيا وقادراً على شهود عظمة الله وربوبيته، إدراكاً صافياً لا تشوبه التعلقات الفانية^(١).

الخاتمة

الحمد لله الذي من علي بتوفيقه وعونه حتى أتممت هذا البحث ومن خلاله توصلت إلى جملة من النتائج وأهمها:

١- يعتبر الإمام ابن عطاء الله السكندري أحد أبرز العلماء الذين جمعوا بين العمق الفكري والنهج التربوي الواضح، وخاصة في تناوله للحكم حيث اتسمت جهوده بالتركيز على التوجيه والإرشاد ضمن رؤية تربوية متكاملة.

٢- ركز ابن عطاء الله على تركية النفس وتقويم السلوك القلبي، فالحكم تدور حول الإخلاص والتوكل والزهدي ومحاسبة النفس، ومراقبة الله تعالى، ويؤكد ابن عطاء الله في حكمه على ضرورة الجمع بين الالتزام بالشريعة الظاهرة والسلوك الباطني الروحي.

٣- يُعد الشيخ الشرنوبى من العلماء الذين تميزوا بخصائص العالم الرباني الذي يوجه جهوده نحو التوجيه والإرشاد ضمن إطار تربوي واضح المعالم كما اتسمت مؤلفاته بصياغة دقيقة وحكيمة مما جعلها تتميز بوضوح المعنى وسهولة الفهم.

٤- يُعد كتاب شرح الحكم العطائية للشيخ عبد المجيد الشرنوبى - رحمه الله تعالى - من الشروحات المهمة حيث يتناول الكتاب (٢٦٤) حكمة يشرحها الشرنوبى بأسلوب مبسط، معتمداً على القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال العلماء، مما يجعله مرجعاً مهماً في علم التركيب والسلوك الروحي.

٥- اتبع الشيخ عبد المجيد الشرنوبى منهجاً متعدد الأساليب في معالجة القضايا الحكمية المتعلقة بأمراض القلب والنفس الإنساني، حيث تميز بوضوح وبدقة العبارة ورقة الأسلوب، مما يشير إلى نضح واضح في فكره التربوي.

٦- يبرز الشيخ عبد المجيد الشرنوبى أهمية القلب في السلوك الروحي والتركيبية، معتبراً إياه مركزاً للأنوار الإلهية ومحلاً لتجليات المعرفة الربانية أن القلب هو موضع استقبال الأنوار الإلهية التي تقضي إلى الكشف أي إدراك المعاني الروحية مثل حسن وقبح المعصية.

(٦) ينظر: شرح الحكم العطائية، الشرنوبى: ص ٥٩.

٧- يؤكد الشرنوبلي على ضرورة تطهير القلب من العيوب والأمراض القلبية مثل الكبر والحقد والعجب والرياء والطمع، لأن تطلع الإنسان إلى ما بطن في نفسه من هذه العيوب خير من تطلعه إلى ما في غيره، مما يُعينه على السلوك الصحيح نحو الله سبحانه.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم:

أولاً: المطبوعات:

١. أحياء علوم الدين، الطوسي أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، (٥٠٥هـ) دار المعرفة، بيروت، د. ط، د. ت.
٢. أحياء علوم الدين، الطوسي أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، (٥٠٥هـ) دار المعرفة، بيروت، د. ط، د. ت.
٣. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ) تحقيق: جميلة عبد السلام، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، د. ت.
٤. الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة، محمد كامل الفقي، المطبعة المنيرية بالأزهر الشريف، د. ط، د. ت.
٥. الإعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي، (ت: ١٣٩٦هـ) دار العلم للملايين، ط١٥، (٢٠٠٢).
٦. إيقاظ الهمم في شرح الحكم، أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني (ت: ١٢٢٤هـ) تقديم: محمد أحمد حسب الله، دار المعارف، القاهرة، د. ط، (١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م).
٧. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي بن محمد الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ) دار المعرفة بيروت، د. ط، د. ت.
٨. التعريفات، الجرجاني علي بن محمد بن علي الزين الشريف، (ت: ٨١٦هـ) تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).
٩. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، (ت: ١٣٧٦هـ) تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).
١٠. الجامع المسند الصحيح المختصر صحيح البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردية البخاري الجعفي، تحقيق: جماعة من العلماء، بولاق، مصر ط١ (١٣١١هـ).
١١. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، (١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م).

الشيخ عبد المجيد الشرنوبى وإصلاح القلب وتركيبته من خلال كتابه (شرح الحكم العطائية)

الباحث: حسن أحمد حسن

أ. م. د غزوان صالح حسن

١٢. الخزانة التيمورية، أحمد بن إسماعيل بن محمد المشهور بأحمد باشا، (ت: ١٣٤٨ هـ - ١٩٣٠ م) دار الكتب المصرية، القاهرة، د. ط، (١٩٤٧ م).
١٣. الخواطر، محمد متولي الشعراوي، (ت: ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م) الناشر مطابع أخبار اليوم، د. ط، (١٩٩٧ م).
١٤. الزهد الكبير، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨ هـ) تحقيق: عامر أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط٣، (١٩٩٦ م).
١٥. سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت: ٢٧٩ هـ) تحقيق وتعليق، بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١ (١٩٩٦ م).
١٦. شرح الأربعين النووية، عبد المجيد الشرنوبى (١٣٤٨ هـ - ١٩٢٩ م) المكتبة الثقافية بيروت . لبنان، د. ط، د. ت.
١٧. شرح الحكم العطائية، أبو العباس أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي المعروف بزروق (ت: ٨٩٩ هـ) تحقيق: عبد الحليم محمود، دار الشعب، القاهرة، د. ط، (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م).
١٨. شرح الحكم العطائية، أبو محمد عبد المجيد بن إبراهيم الشرنوبى، (ت: ١٣٤٨ هـ - ١٩٢٩ م) علق عليه: عبد الفتاح البزم، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ط٢، (١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م).
١٩. شرح الحكم العطائية، محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله بن مالك بن إبراهيم، الشهير بابن عباد، (ت: ٧٩٢ هـ - ١٣٨٩ م) إعداد: محمد عبد المقصود هيكل، بإشراف: عبد الصبور شاهين، مركز الازهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ط١، (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م).
٢٠. صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (ت: ١٣٨٨ هـ) مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، د. ط، (١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م).
٢١. طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت: ٧٧١ هـ) تحقيق: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، دار الإحياء الكتب العربية، القاهرة، ط٢، (١٤١٣ هـ).
٢٢. لسان العرب، أبو الفضل الأنصاري الريفى الأفریقی محمد بن مكرم بن علي بن جمال الدين ابن منظور، (ت: ٧١١ هـ) الحواشي، لليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر، بيروت، ط٣، (١٤١٤ هـ).
٢٣. مسند الإمام أحمد بن حنبل، (ت: ٢٤١ هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوطي (ت: ١٤٣٨ هـ) مؤسسة الرسالة، ط١، (١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م)

٢٤. معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، (ت:١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م) دار إحياء التراث العربي، ومكتبة المثني، بيروت. د. ط. د. ت.
٢٥. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ط١، (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).
٢٦. هدية العارفين وأسماء المؤلفين وآثار المصنفين، أسماعيل باشا بن محمد بن أمين بن مير سليم الناباني البغدادي، (ت:١٣٣٩هـ) دار النشر الإسلامية ومكتبة الجعفري التبريزي، بطهران، د. ط، (١٩٥٥م).

ثانياً الأنترنت:

تراجم عبر التاريخ، موقع الشيخ الأكبر محي الدين ابن العربي.